مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/65

ر ت م د: 1112-685x
ر ت م د إ: 2588-2236

المجلد: 13 / العدد: 01 / جوان 2020
ص ص: 25 ـ 42

الأوضاع الاجتماعية والمظاهر الأنثروبولوجية لقبيلة أولاد نايل في الجزائر.

The social conditions and Anthropological Aspects ouled Nails Tribe in Algeria

حكيم بن الشيخ*
جامعة يحي فارس
المدية/ الجزائر
Drbencheikh2016@gmail.com

تاريخ الارسال: 2018/05/13 تاريخ القبول: 2020/06/16 تاريخ النشر: 2020/06/30

الملخص:

إن ندرة الكتابات والأعمال العلمية حول قبيلة أولاد نايل على الرغم مما كتب تعّد في حكم المصادر الأكاديمية مهمة بل وغاية في الأهمية، لاشتمالها على دراسات ميدانية ومعايشة مكانية، إلى جانب ما تتصف من السمت العلمي، والتنوع بين السياسي، الاقتصادي، التاريخي والجغرافي، وكانت بحق بمنزلة عقد صداقة بين الماضي والحاضر. ولست احصر عدد الباحثين ولا حتى المؤرخين والاجتماعيين الذين أتوا على دراسة وتفحص هذه القبيلة دراسة موضوعية وسوسيولوجية، ولكنني أردت أن أقدم قراءة جادة في حيثيات هذه الفئة من المجتمع الجزائري حتى أصل إلى حقيقة انتشارها وتفاعلها في كثير من الأوساط، فما حقيقة أولاد نايل في التاريخ الاجتماعي الجزائري وواقعها الثقافي والنضالي؟

الكلمات المفتاحية: أولاد نايل، أصولهم، تاريخهم، الخيمة الحمراء.

Abstract:

A few writing has been written by academics and authors, regarding the tribes of Ouled Niles. This, texts is regarded as primary data, due to the encompasses wide range of scientific field studies. Including history, political, economic, and geographical, and was really a bridge between the past and the present. This paper is an attempt to undercourse, the truth and the fact of the tribe of Ouled Niles in Algeria's social history, and it's cultural and contest

* المؤلف المرسل.

reality, and to answer the genesis of this group, which has been and still plays an important role in all levels in Algeria Society? .
Keywords: Ouled nails, their origins, their History, the red tents.

مقدمـــة:

تعتبر قبيلة أولاد نايل من القبائل الجزائرية الأصيلة في نشأتها، العريقة في حسبها وهي تتشكل من عدة أفخاذ يتوزعون في كامل أرجاء وسط الجزائر، ويتمركزون على الخصوص في ولاية الجلفة وقد لا تخلو مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر من ذكرهم أو الإشارة إليهم سواء في الثورة الجزائرية أو خلال مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري.

ولا أحسب نفسي جئت على الموضوع بحثا واستقصاءً ودراسة متناهية، لأن الموضوع متجذرا ومتبحرا ما جمعت خيوطه وأسراره إلى اليوم. فهناك دراسات كثيرة توصلت إلى عدة حقائق لمؤرخين وباحثين وأكاديميين وأئمة وكل يحسب نفسه قد استوفى شروط الحقيقة وآتى على الموضوع بالتحليل والتمحيص والمتابعة مع أنه هناك دراسات أخرى لم ترى النور بعد إلى اليوم، وهي حبيسة الأدراج والرفوف للأرشيفات العالمية والتي منها هذه الوثائق التي عثرت عليها صدفة بأرشيف اكس أون بروفنس سنتي 2007-2008 بينما كنت أعد لرسالة الدكتوراه فكان لزاما علي نسخها حتى تعم الفائدة كيف لا وهي أحد المصادر الرئيسية لقبيلة أولاد نايل العريقة والتي تعد من كبريات القبائل على مستوى الجزائر، لذلك فأمر الخوض في تراثهم وعاداتهم وترحالهم واستقرارهم لهو بالأمر الصعب المنال تشتبك حقائقه وتتعذر مناهله، وانطلاقا من ذلك فإن هذه الدراسة إنما هي محاولة جادة للولوج إلى ذكراهم بأقل الأخطاء لأن التعقيب والتحقيق يستدعي الإلمام والجهد والوقت، وكلي أمل أن يضاف هذا المقال إلى الرصيد المعرفي الاجتماعي الجزائري .

وكان لزاما على أن أطّرق مثل هذه الموضوعات المهمة ذات العلاقة الوطيدة بالتاريخ الاجتماعي الجزائري، وهي رؤية توثيقية جديدة لقبيلة بدوية ذاع صيتها وتجذرت وانفصلت فروعها حتى أضحت تشكل فئات ذات مكانة اجتماعية وفكرية توزعت في مناطق كثيرة من القطر الجزائري، ألا وهي قبيلة أولاد نايل العريقة.

ولست احصر عدد الباحثين ولا حتى المؤرخين والاجتماعيين الذين أتوا على دراسة وتفحص هذه القبيلة دراسة موضوعية وسوسيولوجية، ولكنني أردت أن أقدم قراءة جادة في

حيثيات هذه الفئة من المجتمع الجزائري حتى أصل إلى حقيقة انتشارها وتفاعلها في كثير من الأوساط ولذلك تراني أضع لهذا المقال إشكالا مهما وهو:

ما حقيقة أولاد نايل في التاريخ الاجتماعي الجزائري وواقعها الثقافي والنضالي؟ ثم ماهي طبيعة هذه الفئة التي كانت ولازالت تلعب دورا مهما في كافة الأصعدة؟ وهل كانت عبارة عن عنصر واحد تعود إليه كثير من العناصر أم هي عناصر كثيرة ذات تقاليد وعادات اندمجت ضمن فصيل واحد؟

وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التاريخي التحليلي الذي يلائم مثل هذا النوع من الدراسات التي تستدعي التتبع والتمحيص إلى أن نقف على مسبباتها وفاعليتها ونتائجها.

1/ أولاد نايل الأوضاع الاجتماعية[1] من خلال وثائق جديدة:

لقد كشفت لنا هذه الوثائق عن حيوية هذه الفئة الاجتماعية نظرا لرحلاتها المستمرة والنشيطة عبر كثير من المناطق الجزائرية ولاسيما منها السهبية، وقد حاولت من خلال هذا البحث أن أبرز مختلف نشاطاتهم وتنقلاتهم.

وتعتبر هذه الوثائق على جانب من الأهمية والأكاديمية والعمق بما يجعلنا نضعها ضمن الأولويات التي تناولت هذه الفئة من المجتمع، التي كان لها ولازال دورها مهما في التفاعل والانسجام مع بقية الفئات الأخرى لتشكل في آخر المطاف وحدة اجتماعية، ولعلّ أبسط مواصفات هذا النوع من العمل أنه يقوم على الآثار المتصلة بموضوع الاستطلاع بعد إثبات تاريخيتها علما أنه لكل حضور روافد وأهداف.

لقد أظهرت كثير من الدراسات تعود إلى فترة "أولاد نايل" بفرع "الجلفة" أنهم قوم بدو جاءوا إلى المنطقة نتيجة الهجرات المؤقتة القادمة من الجنوب نتيجة لقساوة المناخ الحار في رحلة بحث عن المناطق المعتدلة والرطبة وذلك لاستمرارية حياتهم وسلامة قطيعهم.

وكذلك تذكر بعض الدراسات أن أصلهم يعود إلى حدود القرن 11م أي إلى الهجرات الهلالية ذي الأصول العربية، حيث حافظ النايلي على وحدته السرية ولم يقبل الزواج بأخريات خارج نطاق القبيلة، رغم بعض التجاوزات التي حدثت هنا وهناك بالإضافة فإن كثير من الفروع النايلية،[2] قد هاجرت هي الأخرى صوب المناطق الشمالية للجزائر كالمدية والسرسو (تيارت) ومتيجة والعاصمة نتيجة بعض المشاكل الاقتصادية.

وقد تحمل عبارة "أولاد نايل" كثير من الطروحات لاسيما وأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بعادات وتقاليد هذه الفئة من المجتمع التي هي حريصة كل الحرص على ارتباطها بأرضها ووطنها الجزائر.[3]

2/ أصل "أولاد نايل":

تذكر الدراسات،[4] ذات الصلة بقبيلة أولاد نايل أن محمد بن عبد الله الملقب نائل من ذرية عبد السلام بن مشيش المتوفي سنة 1228 م - ذكر أنه تلميذ أحمد بن يوسف الملياني المتوفي سنة 1524 م ، محمد نائل بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مسعود بن عيسي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام بن مشيش،[5] وُلد بالمغرب في جبل العلم بين أهله، ولما شبّ استوزره الأمير الزياني على ثغر الصحراء وحاضرتها واحة فقيق، ومنها بعد انكسار قوته إلى خميس مليانة لذلك يقال أنه أتى من الساقية الحمراء وإنما هي فقيق، وبإيعاز من شيخه أحمد بن يوسف توجه إلى أرض سيدي عيسى قرب بوسعادة، أما إخوته فيبدو أنهم كذلك قد فوضوا فكل منهم أخذ وجهة حسب رغبة الشيخ. وترى أخرى أن قبيلة أولاد نايل تنحدر من أصول عربية شريفة حيث تنسب هذه القبيلة إلى محمد بن عبد الله سيدي نائل جده الأعلى إدريس الأصغر بن الأمير إدريس بن عبد الله الكامل مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى. قبيلة أولاد نائل هي قبيلة كبيرة العدد تتشكل من عدة أفخاذ ينتشرون في كامل أرجاء وسط الجزائر ويتمركزون على الخصوص في ولاية الجلفة يتميز أولاد نائل بثرائهم الواسع وبكرمهم ونخوتهم.

هذا و ينتمي "أولاد نايل" إلى فرع "دواويدة" (*Daouaouida*)، من قبيلة "بنو هلال" التي كانت لها صلات وثيقة ببلاد المغرب الأقصى، وقد كانت هذه الفئة ولازالت تفتخر بانتماءاتها العرقية والإقليمية وبخاصة العربية، ولعّل "محمد بن عبد الله" المدعو "سيدي نايل" كان آخر ذرية "مولاي ادريس" وهي شخصية بارزة في قبيلة "الشرفة" ومؤسس مدينة "فاس"، التي نالت عناية المؤرخين القدامى والمحدثين، فصنفوا حول رجالاتها و ألفوا حول سكانها وعمرانها و اهتموا بأحوالها، فامتازت عن بقية الحواضر المغربية الأخرى بكثرة ما كتب حولها،[6] هذا وقد انتقل "سيدي نايل" إلى البقاع المقدسة حاجا سنة 1500م وفي طريقه اتصل بالشيخ "سيدي بلعباس الكربي" فأكمل دراسته الدينية في منطقة تدعى "عين الريش" ثم تزوج بعد ذلك وحينما أتم زواجه عاد إلى البلاد وأصبح محط زيارات ولقاءات من كثير من

الشخصيات التي التقته واعتبرته مرجعا دينيا وعلميا، ولقد تميزت تجمعات "أولاد نايل" أثناء تنقلاتها بألوان خيمها الحمراء التي تميل إلى البني والذي يفرقها عن باقي قبائل الرحل الجزائريين .

عرف أولاد نايل خلال ترحالهم بأنهم أهل بداوة اتخذوا الخيمة المخضبة باللون الأحمر تمييزا عن القبائل العربية المحيطة بهم وقد كان جدهم الولي الصالح سيدي محمد نائل بن عبد الله الخرشفي الادريسي الحسني من أهل مدينة فجيج بالمغرب قد نزح للعيش في البادية والصحراء وكان أول من خضب خيمته باللون الأحمر تمييزا وعلامة للشرف وقيل نسبة للساقية الحمراء مهد أجداده الأشراف. وتبعه في ذلك ذريته الأوائل الكرام وأحلافهم والمقربين منهم من القبائل والفرق العربية فكانت بذلك الخيمة الحمراء منذ ما ينيف عن 05 الخمسة قرون رمزا وعلامة بينة لأولاد سيدي نائل ورمزًا للكرم والجود العربي الأصيل. ولعّل المتتبعين للجنس أو فصيلة "أولاد نايل" حتما يجدها معقدة كونها لا تتركز فقط في فرع "الجلفة" ولكنها تشمل كذلك "أولاد زكري"، "أولاد جلال"، "أولاد فرج"، و"أولاد عامر" الذين ينتمون إلى البلدية المختلطة "ببوسعادة"، ولعّل هذا التجمع السكاني كان يتألف من حوالي 100.000 نسمة ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نهمل أهميته، ولست أدعي إن قلت أنه يشترك في أصل "أولاد نايل" تحالف بربري متميز يعود أصله إلى فئة "الجيتول"،[7] القديمة والتي لها صلات بربرية كانت تشغل المناطق التي يتواجد بها "أولاد نايل" اليوم، ويعرف عن "أولاد نايل" أنهم منعزلون عن بقية المجتمع حتى أن الوجود الروماني لم يتمكن من أن يجد له بينهم موضع قدم إلا ما تم تخصيصه لهم من بعض المراكز العسكرية والتي لازالت آثارها بادية إلى اليوم، حتى أن تأثير الفتوحات الإسلامية فيما بعد كان ضعيفا وأقل تأثيرا في هذه الفئة بعكس النزوح الهلالي الذي عرفته المنطقة منذ القرن11م والذي لاق تجاوبا معهم انتقلوا على إثره بقطيعهم إلى جبال الأطلس الصحراوي و استقروا بها ،وهناك جرى اندماج العناصر النازحة بالعناصر البربرية الصحراوية في علاقة الغالب بالمغلوب ووفق التأثير الديني. ولا جرم أن اتصال "أولاد نايل" واندماجهم بهذه العناصر قد أثّر تأثيرا كبيرا في نمط معيشتهم اليومية، حيث صوّرهم الرائد "مونتان" (*Montagne*) في محاضراته أنهم رعاة رحّل وأن ظاهرة الترحال في حياة "أولاد نايل" لم تكن نزعة أو ميولات ولكنها ضرورة اقتضتها ظروف البيئة والأرض الجافة التي عادة ما تحدد طبيعة ثقافات كثيرة من المجتمعات، ولعّل منطقة "الجلفة" نموذج ذلك، هذه المنطقة الجد استراتيجية بالنسبة لهؤلاء الرحّل كونها تتربع على حوالي 2800 هكتار، وتتوسط منطقة عامرة

بكثافة غاباتها وجبالها التي يصل أعلى مدى لها 1500م، ولعّل هذا الموضع وغيره جعل من منطقة "الجلفة" منطقة رعي بامتياز.

ولمّا كان المناخ والجفاف يشتدّان عليهم وعلى قطيعهم كانوا يلجئون إلى التنقل بشكل مؤقت إلى مناطق الشمال المجاورة لهم كـ "قصر البخاري"، "عين بوسيف" و"قصر الشلالة" حيث يتوفر الماء والكلأ.[8]

السنة	الأبقار	الجمال	الأغنام
1900	09	25	500
1908	12	21	800
1910-20	10	15	500
1934	06	10	250

النسبة بالألف رأس[9]

ومهما يكن فإنه بالإمكان القول بأن نمط معيشة فئة "أولاد نايل" قد تطور عمّا كان عليه في ظل الأوضاع الحياتية التي اقتضتها الظروف المناخية والتي جعلتهم شعبا مزارعا يتطلع إلى مستقبله من خلال خدمة أرضه والاعتناء بها مما زاد في مساحة الهكتارات المزروعة، واللافت للانتباه هو أن "أولاد نايل" أخذوا في النزوح شيئا فشيئا نحو الجنوب بينما عادوا في كثير من المرات إلى الشمال بدافع الحصاد السنوي. على أن حياة الترحال والتنقل التي ميزت "أولاد نايل" أخذت في الانحصار لاسيما لمّا بدأت تظهر أولى حياة الاستقرار ضمن مزارع فلاحية، مما فسح المجال لإقامة قرى آهلة بالسكان أخذت تعوض حياة الخيم والترحال.

ويبدو أن التنظيم الجديد لقبيلة أولاد نايل قد جاء ليحقق فكرة التحول النوعي الذي أبدعه الدين الإسلامي ويكمن من الناحية الاجتماعية في تحطيم نظرية التضاد بين الرعاة والمستقرين رغم أن الصياغة الخلدونية،[10] تعتمد على طبيعة المصالح الظرفية في مجتمع البداوة بالمقابلة مع مجتمع الحضر ومن هنا يبقى مفهوم القبيلة بمعناه الشكلي المحدود الذي لا يتعارض مع طبيعة التنظيم العام للدولة. إنه لمن الصعب تفسير عملية الانتقال السريع لشعب ظلّ طول حياته يعيش التنقل ويسعى إلى حياة المدينة والاستقرار، وبالتوازي مع ذلك فقد ظلّ "النايلي" يحتفظ بكثير مما ورثه عن أيام الخيم التي ميزت حياتهم طوال سنوات كثيرة، وظلّت عائلاتهم قريبة جدا من ذلك.

ولست أدّعي على هذه الفئة في شيء إلا كما تدعي هذه الوثائق " أن عملية تقريب شعب "أولاد نايل" بالمدينة الجديدة كان نتيجة جهود الجنرال "مارغريت"[11] منذ سنة 1852م لأهداف سياسية بحتة حينما أنشأ لذلك بعض المساجد والمدارس كما فعل مع قبائل القصور."

أبدا لا يمكننا أن نصدق أن "فرنسا" في أي عهد كان أنها أقامت هذه المنشآت وهي التي جاءت لتدمر ما كان قائما وفرقت الذي كان يشكل وحدة هذه الأمة.

لذلك ينبغي على المؤرخ والباحث الذي يلج باب الدراسات الغربية وبخاصة الفرنسية أن يكون حذرا بل وشديد الدقة في التعامل مع طبيعة هذه المؤلفات التي هدفها تلميع وجه "فرنسا" القبيح. وللإشارة فإن عدم محدودية واهتمام السلطات الاستعمارية بحراسة الغابات قد زاد من فقدان الكثير من المساحات الخضراء لهؤلاء الرحل (أولاد نايل)، كما زاد قانون "سيناتوس كونسلت" (المشيخي) من تفاقم مشاكل هذه الفئة لأنه أولى اهتماما كبيرا للعقارات حيث ضمّت الكثير منها ولاسيما منها البور إلى المساحات المزروعة مما خلق عدّة مشاكل في التنقل بكل حرية في هذه المناطق وكانت بمثابة حواجز طبيعية جعل فئات كثيرة منها تنقسم على نفسها لاسيما في عملية التنقل بالقطيع مما شكّل تهديدا بتقلص واختفاء نشاط العناصر البدوية المتنقلة.[12]

والملاحظ أن حركية قبيلة "أولاد نايل" قد ارتبطت بشكل رئيسي بمنتوج "الجلفة" التي كانت ذات أهمية كبيرة لما توفره من كلأ للقطيع وكذا للصناعات التقليدية بصفة خاصة واقتصاد البلاد بصفة عامة،[13] وتظهر هذه الأهمية من خلال أزمتي (1920-1921) و (1930-1931).

ومهما يكن من أمر فإن العمل في هذه المادة الاستراتيجية بالنسبة لاقتصاديات هذه الفئة يكون قد خلق نموذجا فريدا شكّل طبقة العمال الجديدة ليس لها مثيل في كل القبائل المتنقلة، والغريب في ذلك أن هذه الفئة قد خالفت بعض التقاليد التي تعمل بموجبها هذه الأخيرة كونها اعتمدت نظام التعاون والتكافل الجماعي في تحقيق مداخيلها وفي بناء أسسها الاقتصادية.

وتذهب هذه الدراسة في معرض حديثها عن بعض العادات والتقاليد السيئة التي أدّت إلى إضعاف عائلتي "بن لحرش" و "عبد السلام" اللتان اعتمدتا في تاريخها على الأرض وعائداتها بالإضافة إلى ذلك فقد كان الماء عنصرا مهما في بقاء تماسك هذه القبائل وفاعليتها. ولمّا شحت الأرض أصبح المرء يسير لمدة ثلاثة أيام في رحلة بحث عن الماء مما زاد في تفاقم هذه المحنة التي

ألمّت بهم في ضوء ندرة الطعام. ولا عجب إذ نقرأ في بعض تقارير المستوطنين الفرنسيين الذين يدّعون أنهم على علم بما يعانيه هؤلاء من آلام وقهر وجوع، وهم يناشدون السلطات بضرورة الاعتناء بهم وإنقاذهم مما كانوا فيه.

3/ تاريخ أولاد نايل:

انطلاقا من المادة التوثيقية المشار إليها سابقا يرى الباحث أن نظرته لقبيلة " أولاد نايل" إنما هي نظرة شخصية جدا لاهتمامه المباشر بهم ولا جرم أن يكون أحد مصادر التأريخ لهذه الفئة الاجتماعية والوقوف على خصائصهم الأنثروبولوجية ليست أحكاما تصدر في حقهم ولكنها معاينة واقعية لتاريخهم وعاداتهم دامت 15 سنة إلى جانبهم، لقوله: **" أحمل بداخلي مودة وحبا لهم".**

ثم يتبع قوله: ولست أدعي أن أقول أنني صادفت في حياتي رجلا عالما فنانا هو "النايلي" الرجل الذي أحترمه وأقدره، فقد ظلّ "النايلي" متمسكا بدينه وعاداته وتقاليده ومتشبثا بعائلته رغم قساوة الحياة التي كان يحياها، هذه الحياة التي أعجب بها الفنان "ناصر الدين ديني"،[14] منذ سنة 1929 والتي قادته إلى الحج.

علما أن هذه الحياة تمركزت حول كثبان الرمال والتضاريس التي تمتد من "بوسعادة" و"بسكرة" حتى "تقرت" مرورا بجبال "عمور" و "الأغواط" وحتى "الجلفة" و"مسعد"، قبيلة حملت في تاريخها معاني الشرف والرفعة والصراحة والثورة التي جعلته يتغلب على كثير من الخصوم والأعداء.

وللذكر فإن أغلب أراضي "أولاد نايل" كانت تقع في المجال البربري أو الأمازيغي ثم جاء العرب الفاتحون ففرّ هؤلاء أمام هذا التوسع في المنطقة،[15] وهناك الكثير من الدراسات التي تجعل هذه القبائل تنحدر من أصول عربية خالصة رغم أن عاداتهم وتقاليدهم لا تعود زمنيا إلى العرب أي القرن 6هـ

ولعّل جدهم الأول يعود إلى"عبد الله" أو "سي عبد الله" الملقب "سيدي نايل" (الرجل الحكيم) الذي مارس قيادة القبيلة منذ سنوات طويلة بكثير من التعقل والحكمة وكذا القوة، وحينما أراد زيارة البقاع المقدسة جعل رعاية القبيلة تحت نفوذ "سيدي مليك" ولمّا طالت مدة إقامته بالأراضي المقدسة ولم يعد، أخذ أفراد عشيرته يسألون عنه قوافل الحجيج القادمة،

فاعتقد "سيدي مليك" أن الرجل قد قضى نحبه في الحج، فتزوج من أرملته التي ولدت له طفلان "أحمد" و"بن قيقة".

وبعد عشر سنوات عاد "سيدي نايل" إلى قبيلته فلم يلقى قومه من جواب ففرّ "سيدي مليك" إلى منطقة "الجلفة" وهناك أسس عائلة جديدة وأنجب ولدا اسمه "سليم" والذي خلّف بدوره أربع أطفال (يحي، سعد، محمد وعامر)، ويذكر أن ابنه "عامر" قتل من قبل أخيه "يحي" بينما نشب بينهما شجار حول تقسيم التركة، ففرت زوجته فيما بعد إلى زاوية "الشيخ سيدي إبراهيم" وعامله وكأنه ابنه، وبعد زمن معين قام "محمد بن عامر" بدعوة أعمامه واستضافتهم بمنطقة "مجانة" عند "أولاد مقران" ولم يتم التعرف عليه، وقد مدحه كثيرا "سي إبراهيم" على خصاله الحميدة هذه وطلب منه أن يعود رفقة أعمامه حيث مكث بينهم وتم تزويجه بابنة "بن قيقة". ولمّا كانت الصراعات قائمة بين أفراد القبيلة (أولاد نايل) تم طردهم من منطقة "بوسعادة"،[16] فلجأ كل من (يحي، محمد وسعد) إلى منطقة "الجلفة" بينما استقر "محمد بن عامر" في غرب "بوسعادة" وبذلك أصبح حدود "أولاد نايل" من (الجلفة وحتى بسكرة)، ولم يخضع هؤلاء للحكم التركي الذي لم تكن لديه سلطة على هؤلاء الرحّل. والظاهر أن هذه القبيلة قد جعلت لنفسها هيبة ولوجودها صدى، وحافظت على تماسكها واستقلالية قراراتها وكيانها من تهديدات بقية القبائل. كما أن القبيلة اختطت نظاما صارما في الحفاظ على الأمن ومعاقبة المخلين وكذا المشاغبين وذلك بالمثول إلى العدالة القبلية. كما حافظ النايلي على شخصيته على الرغم من المواقع التي كان يتخذها داخل القبيلة، فقد كان الحاكم أو الراعي أو الفلاح.

هذا وتذكر الوثائق أن المرأة النايلية كانت عفيفة ولم يكن هدفها من الحركات التي تؤديها أثناء رقصاتها في المناسبات تشجيع على البغاء أو الاسترزاق ولكن لإيجاد رجل مناسب تتزوج منه لتشكل البيت النايلي المحترم، ومهما يكن من أمر فإن المجتمع النايلي قد شدته قواعد وأسس لها صلة كبيرة بدينه وطرقه والتي منها زاوية الهامل التي كان يقصدها العلماء من كل البلاد العربية وخاصة من مصر وذلك للتدارس في أمور المسلمين وحل خلافاتهم. وكانت الزاوية تمثل الطريقة الرحمانية التي يسيرها شيخ الطريقة يحفظ للمجتمع كرامته واستقلاله.

وفي أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر انتقل أولاد نايل إلى منطقة الحضنة التي كانت تحت إمرة "الشيخ أحمد المقراني" الذي أمّن وصولهم إلى منطقة "قسنطينة" ما بين 1836 إلى 1837، وفي شهر ديسمبر من سنة 1837 أسس "الأمير عبد القادر" قواعد بدولته الفتية بعد معاهدة

"التافنة"، وعلى غرار ذلك اغتنم "ابن عم الشيخ أحمد" فرصة إبعاده عن عمله وتقدم في جويلية من سنة 1838 من الجنرال الفرنسي "قلبوا" (*Galbois*) بقسنطينة الذي عينه خليفة،[17] على منطقة "مجانة" من "فرجيوة" شرقا إلى منطقة "شيخ العرب" في الجنوب إلى "التيطري" غربا في عملية ختم لمناطق "أولاد نايل"، وفي سنة 1843 أسس الجنرال "سيلاق" (*Sellegue*) بمدينة "بوسعادة" تجمعا أين تم الترحيب بـ"الشيخ أحمد المقراني" بالمدينة، كما ظلّ "أولاد نايل" يدفعون الضرائب لفرنسا.

ومع نهاية سنة1848 ضعفت سلطة "المقراني" مما أدّى إلى انقسام القبيلة حتى اتخذت اسما مستعارا لـ "أولاد نايل"، لأنها انتقلت فيما بعد إلى مقاطعة المدية واتخذت لها فروع في الجلفة وبوسعادة الذين ظلوا تحت إمرة قائدهم أو خليفتهم،[18] أما أولاد زكري فقد التحقوا بدائرة بسكرة.

تعتبر سنة 1849 سنة وصول الفرنسيين إلى حدود المنطقة حيث أخضعت المنطقة بشكل مباشر للإدارة الاستعمارية ولم يعد "سي أحمد" سلطان لخليفتهم.

صحيح أن أولاد نايل لهم قدراتهم التقليدية ووسائلهم الخاصة كالخيول والجمال وأنهم ليسوا في حاجة إلى سيارات وشاحنات كالتي للمستوطنين مما يجعل هؤلاء لا يقيمون علاقة مع هؤلاء الرحل، ولكن من الواجب أن لا نتمادى في إهمالهم لأنه من شأنه أن يؤجج لديهم ثورات وانتفاضات. إذن لا نستبعد تلك المناوشات والقلاقل التي حدثت بمنطقة الحضنة و البويرة وهي التي ظهرت بالتنسيق بين قبائل أولاد سليمان بن حمزة، وأولاد ابراهيم بن عبد الله وأولاد مدحي وكذا أولاد فرج، وأولاد عامر الذين تموقعوا بمنطقة تدعى الحجلة البيضاء بالقرب من الطريق المؤدي إلى الجلفة، الأمر الذي حمل العقيد سيروكا (*Sèroka*)،[19] إلى المجيء والالتحاق بالمنطقة قادما إليها من بريكة لينظم إلى فيلق العقيد بريون (*Briant*) التابع للعقيد لاكروا (*La Croix*) ،وعندئذ التفّ أتباع الشيخ المقراني حوله وكان حينها قد اتجه إلى منطقة تدعى عين الرمل المجاورة لثنية الريح منذ 28 سبتمبر 1871، ولم يعد يبعد عنهم الجيش الفرنسي المرابض هناك إلا مسيرة الثلاث كيلومترات حيث التقى الجمعان في معركة فاصلة قتل فيها الكثير وأبلى فيها أولاد نايل بلاءً حسنا بقيادة الشيخ لخضر بن عزوز . وفي 02 أكتوبر تجدد القتال في منطقة تدعى عين الدم ولكنهم سرعان ما تفرقوا في الجبال وفي المناطق المجاورة ابتداء من يوم 07 من نفس الشهر طالبين الأمان.

وللعلم فإن أولاد نايل لم تكن مشاركتهم في ثورة المقراني الأولى ولكنهم كانوا قد خاضوا زمام الحروب وألفوا القتال والمقاومة على عهد الأمير عبد القادر والحاج بلحرش، فكان فيهم أولاد الغويني بن أحمد بمجموع 100 فارس وأولاد يحي بن سالم ب 15 فارس، وأولاد عيسى ب 30 فارس، وأولاد ساعد بن سالم ب 10 فرسان وقد دام حصارهم للقوات الفرنسية قرابة سبعة أشهر.[20]

أما عن عادات وتقاليد أولاد نايل فكانت بحق مستمدة من بيئة وواقع معيشيين متأصلين في تاريخ هذه القبلة البدوية العريقة والتي حوت كثير من الطباع والطبائع الحميدة والتي تنم عن تمرس وتجارب خاضها الفرد النايلي طيلة حياته قضاها بين ربوع هذه الأرض الزكية.

خاتمـــة:

البحث في تاريخ الجزائر المحلي يفتح آفاقا واسعة أمام الباحثين لكون عدة مواضيع لم تخضع بعد لدراسة معمقة حسب المعطيات المحلية المتوفرة، لكون هذا النهج يفرض على الباحث التحلي بالحكمة واليقظة حتى لا يسقط فيما أرادته كتابات الفرنسيين من شرّ لسكان المنطقة والجزائر عامة، بسبب حساسية الأحداث المحلية والقضايا الأسرية المُرتبطة بها خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

لأن المجتمع البدوي الذي دفعته الحاجة إلى النزوح إلى المدينة قد يجد في انتظاره مختلف المشاكل التي تقف في طريق اندماجه في الوسط الجديد (المدينة)، فلا هو قادر على الرجوع إلى الوسط القديم ولا هو بقادر على التكيف مع الوسط الجديد.

غير أن المجتمع النايلي ورغم كل الصعاب والعوائق التي حالت دون تجليه كقوة اجتماعية ناشئة ظهر على صعيد المجتمع الجزائري بصورة لافتة شدّت إليها كثير من الباحثين مؤرخين كانوا أم سوسيولوجين، وقفوا على حقيقة هذه الفئة التي تمكنت من فرض واقعها وأسهمت بحق في بلورة تراثها وعاداتها وتقاليدها.

و يرى بعض الذين ينتسبون إلى فئة أولاد نايل أنه لابد ألا يفتخر بالخيمة النايلية كعنصر أساسي للهوية لأنها في الحقيقة تمثل مرحلة مظلمة من تاريخ القبيلة وحياتها في البداوة لكننا نرد على أمثال هؤلاء غير المختصين في دراسة الوقائع التاريخية و تحليلها بما يتلاءم و القواعد الأكاديمية، أن الخيمة مثلها مثل اللغة والتاريخ والهوية فهي ولا ريب تمثل

إحدى ركائز المجتمع النايلي الأصيل و كذلك هي تمثل حياة الترحال والتنقل الدائم و تقليدا لا يمكن نكرانه للوقوف على حقيقة القبيلة النايلية.التي واجهت السياسة الفرنسية ذات الطابع الاجتماعي الهادفة إلى تشجيع عملية الاستيطان الأوروبي وتثبيت الوجود الفرنسي وتفكيك بنية المجتمع الجزائري بإصدار مجموعة من القوانين والمراسيم.

ولست أشك في أن قبيلة أولاد نايل والرجل النايلي بوجه خاص قد بلغ عبر التاريخ وحتى اليوم تلك المكانة وذلك الحضور أنثروبولوجيا كان أم ثقافيا ولا حتى دينيًا، فقد أضحى يشكل حلقة مهمة ضمن حلقات المجتمع الجزائري، كما صار يحوز على صدارة الأحداث في الجزائر كما في كامل البلدان المغاربية.

كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نحذر من خطورة الكتابات الاستشراقية والفرنسية على الخصوص كونها تسعى إلى تلفيق طباع لا تمت بصلة إلى المجتمعات المقصودة والهدف تمزيق تراثها وتجريده من أبعاده الحضارية والدينية.

الملاحـــق:

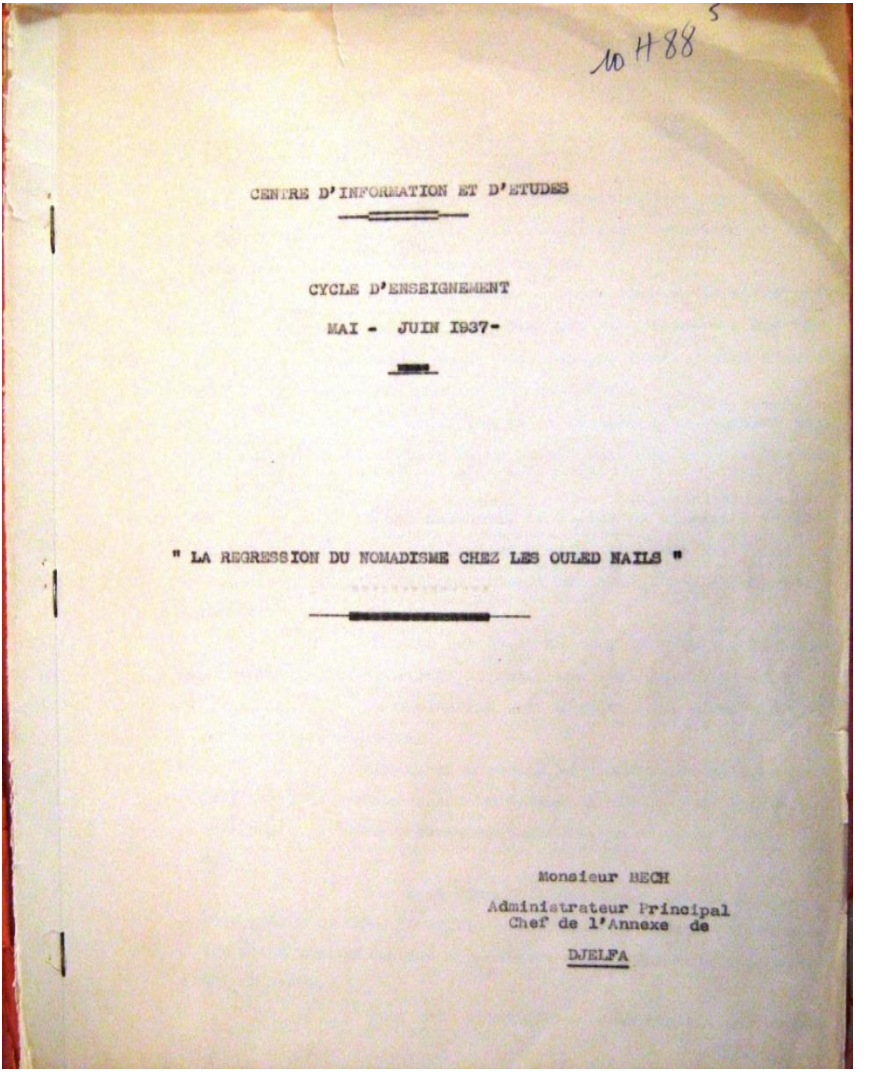

10 H 88

CENTRE D'INFORMATION ET D'ETUDES

CYCLE D'ENSEIGNEMENT

MAI - JUIN 1937-

" LA REGRESSION DU NOMADISME CHEZ LES OULED NAILS "

Monsieur BECH

Administrateur Principal
Chef de l'Annexe de

DJELFA

صورة من الوثائق المعتمدة في دراسة هذا المقال

المصدر:

- Caom, Archives d'outre mer Aix en Provence, Maitre Bech, la Régression du nomadisme chez les Ouled nails, carton / 10H88, 1937.

- جانب من الحياة اليومية لقبيلة اولاد نايل

قصة الخيمة الحمراء لأولاد نايل

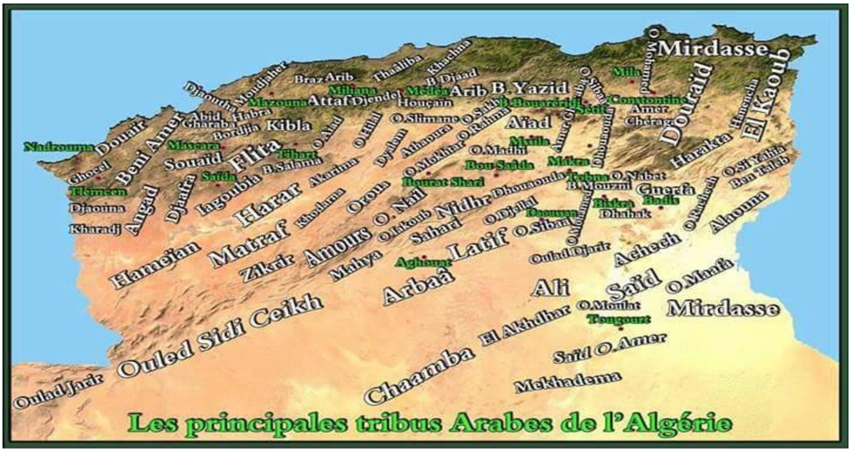

المصدر: GALICA ,BNF, ouled Nail (peuple Arabe).

أنظر كذلك :

- Carette , Recherches sur les origines et les migrations principales , Tribus de L'Afrique septentrionale , 1853.

قائمة المصادر والمراجع بالعربية:

1/ المصادر:

- أبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، دراسة و تحقيق: زهراء النظام ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، سلسلة رسائل و أطروحات ، رقم: 35، الرباط ، سنة 1997.
- سيدي علي حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929.
- عبد الرحمان بن خلدون، **المقدمة**، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط: 01، دار يعرب، دمشق، سوريا، سنة 2004.
- محمد بن عبد الرحمان الديسي، تحفة الأفاضل في نسب سيدي نايل، شرح وتعليق: الأستاذ عبد الكريم قذيفة.
- الميلود قويسم بن الهدار، موسوعة التحقيق الكامل، مناقب وقيم تراث ونسب أولاد سيدي نايل، ج 04، طبعة تجريبية، الجزائر، 2006.

2/ المراجع:

- اصطيفان كصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة: محمد التازي سعود، ج:01، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، 2007.
- غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة: عبد الرحيم حزل، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010.

3/ المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

- C,Bataillon, La Tribu, Nomade et Nomadisme au Sahara, UNESCO, éd, Organisation des Nations unies pour L'éducation la Science et la culture, Paris, 1963, PP 13-21.
- Caom, Archives d'outre mer Aix en Provence, Maitre Bech, la Régression du nomadisme chez les Ouled nails, carton / 10H88, 1937.
- Carette, Recherches sur les origines et les migrations principales, Tribus de L'Afrique septentrionale , 1853.
- Emile,Dermenghem , le pays des ouleds Nails , Société Nationale des entreprises de presse , Alger 1956.
- GALICA, BNF, ouled Nail (peuple Arabe) .
  J.Berque, Les Arabes d'hier à demain, éd du seuil, paris, 1959.
- Nasreddine, Dinet, La Vie de Mohamed (Prophète D'Allah), Editions talantikit, Bejaia Algérie.

4/ القواميس باللغة الفرنسية:

- Grand dictionnaire encyclopédique Larousse – xx siècle, éditions : librairie Larousse, 1982, vol : 12, paris.

الهوامش:

[1]- Caom, Archives d'outre-mer Aix en Provence, Maitre Bech, la Régression du nomadisme chez les Ouled nails, carton / 10H88, 1937.

[2]- منها أولاد بوعبد الله، وأولاد عبد القادر أنظر:

- Emile, Dermenghem,le pays des Ouleds Nails , sociètè Nationale des entreprise de presse , Alger ,1956,p 18.

[3]- وقد أوردت منظمة اليونسكو دراسة قيمة لدارسين وباحثين مختصين حول طبيعة القبائل المتنقلة وطريقة عيشها وترحالها وظروف تأقلمها حول المناطق السهبية والصحراوية أنظر:

- C, Bataillon, La Tribu, Nomade et Nomadisme au Sahara, UNESCO, éd, Organisation des Nations unies pour L'éducation la Science et la culture, Paris, 1963, PP 13-21.

[4]- محمد بن عبد الرحمان الديسي، تحفة الأفاضل في نسب سيدي نايل،شرح و تعليق : عبد الكريم قذيفة.

[5]- وقد جاء في المصادر أن من الفروع المشيشية الوالي الصالح الزاهد الناسك السيد محمد بن عبد الله الملقب بـ نائل سيدي نائل هو جد أشراف أولاد نائل. أنظر: سيدي علي حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929، ص 22.

[6] - كتاب المستفاد بمناقب الصالحين والعباد.

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، سيدي علي حشلاف، مرجع سابق، ص 17.**أنظر كذلك**:
- أبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس دراسة وتحقيق: زهراء النظام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم: 35، الرباط 1997.

[7] - **الجيتول:** قال عنهم سترابون المؤرخ اليوناني أنهم أكثر شعوب شمال أفريقيا عددا، أسلوب حياتهم كان يعتمد على الرعي ووصف خيولهم وأبقارهم بأنها كثيرة العدد، كما أنهم ألفوا الانتقال، وجيتوليا وهي معظم المناطق التي يتواجد بها أولاد نايل، ويضيف المؤرخ كامب: فيقول بأن هؤلاء قد استوطنوا كامل شمال إفريقيا ووجدوا في المغرب والجزائر وتونس، وأنهم كانوا من الرحل وقد توسعوا جنوبا وعمروا السهوب والصحاري. **أنظر**:

- غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة: عبد الرحيم حزل، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2010، ص 149-152. **أنظر كذلك:**
- اصطيفان كصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة: محمد التازي سعود، ج:01، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب، 2007.

[8] - Maitre Bech, la Régression du Nomadisme chez les ouled Nails, op cit, p 04.

- ويذكر السيد بارك أن أغلب القبائل المتنقلة في الصحراء وحوافها كان لها سمات مشتركة من حيث اللغة وطريقة العيش، حيث يغلب عليها طابع البداوة المعارض لطابع التمدن والاستقرار، وهذه الطريقة في التأقلم مع الوسط البيئي شدت الكثير من الدارسين والباحثين الأوروبيين الذين تتبعوا باهتمام واقع وأفاق هذه القبائل انظر:

- J.Berque, Les Arabes d'hier à demain, éd, du seuil, paris, 1959, p21.

[9] - ibid, p 05.

[10]- أنظر: عبد الرحمان بن خلدون، **المقدمة**، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، ط: 01، سنة 2004، دار يعرب، دمشق، سوريا، الفصول الخاصة بمعالجة البدو والحضر، ص 167-174.

- ويمكننا في هذا المجال أن نستحضر علاقة البدو بحياة الصحراء بشكل عام والخيمة بشكل خاص، ما نقرأه عن قصة ميسون الكلبية (شاعرة من قبيلة بني كلب)، التي سمعها معاوية وهي تُنشد قصيدة تعبر فيها عن شوقها لحياة البادية، إليكم بعض أبيات هذه القصيدة:

ولِبس عباءةً وتقر عيني أحبُ إلي من لبس الشفوفِ
وبيت تخفق الأرياح فيه أحبُ إلي من قصر منيفِ

[11]- **الجنرال مارغيريت جون أوغست**: من مواليد 15 يناير 1823 في مدينة منهيل (الميز) وتوفي 6 سبتمبر 1870 في بوراين (بلجيكا)، وفق التقسيم الفرنسي العام. اكتشف جان أوغست مارغريت الجزائر في عام 1831بعدما كان قد أرسله والده

كعسكري إلى كوبا وهو المكان الذي قضي به معظم حياته ومسيرته العسكرية. في عام 1842أصبح رقيب، في أمر من دائرة مليانة، وتولى قيادة فوج 2 دي ماركي، وفي 2 يوليو 1863 عاد إلى الجزائر برتبة عقيد، في 1 سبتمبر من نفس السنة تلقى رصاصة في الرأس في معركة سيدان على هضبة فلوينق وإيلي. توفي بعد خمسة أيام في قلعة بيورينغ، بلجيكا، أنظر:

- Grand dictionnaire encyclopédique Larousse – xx siècle, éditions : librairie Larousse, 1982, vol : 12, Paris, p 1284.

[12] - Caom, Archives d'outremer Aix en Provence, vérité et société Ouled Nails op cit, p 09.

[13]- على أن اقتصاديات هذا البلد الفقير وأعني به طبعا المناطق التي كانت تنتشر فيها هذه الفئة الاجتماعية كما تصورهم كثير من الدراسات التاريخية لأنها تعتمد أساسا على مادة الحّلفة، وهو في رأيهم السبب المباشر الذي أدى إلى حدوث مجاعة رهيبة بين أهل أولاد نايل وأسفرت عن وفاة الكثير منهم.

[14]- **ناصر الدين ديني**: الفنان البارع والرسام الماهر والعالم الفرنسي الأصل، الجنسية المسلم العقيدة "ألفونس إتيان ديني" الجزائري (*Etienne Dinet Alphonse*) ، ولد بباريس سنة 1861 في وسط برجوازي ، درس بمدرسة الفنون الجميلة بفرنسا و كانت هذه المحطة من أهم المحطات لأساسية في تاريخه لأنها جسدت أفكاره و خلقت فيه حسه الفني و الإبداعي ، تحصل سنة 1884 على ميدالية من الغرفة الفنية التابعة أنذاك لقصر الصناعة بفرنسا ، سافر مع الرحالة البدو و اطلع على عادات و تقاليد العرب والبربر التي مكنته لاعتناق الإسلام سنة 1913 و غير إسمه بعدها ليصبح ناصر الدين دييني ، شارك بعدة معارض عالمية كان موضوعها الفنون الشرقية ، توفي في 24 دسمبر سنة 1929 بعدما حج على بيت الله الحرام في أفريل من نفس السنة و دفن بمدينة بوسعادة. أنظر:

- Nasreddine Dinet, La Vie de Mohamed (Prophète D'Allah), Editions talantikit, Bejaia Algérie, 2002.

[15]- حيث يشكل العرب أكبر نسبة بين قبيلة أولاد نايل.

[16]- بن بعايش شخصية كانت تشرف على منطقة بوسعادة وهي التي طردت أولاد نايل من المنطقة.

[17]- وقد ورد في دراسة أخرى أنه لم يكن بوسع أولاد نايل منذ سقوط زمالة الأمير عبد القادر أن يجددوا علاقاتهم مع فرنسا، واستقبلوا القائد ماري مونج (*Marey Monge*) الذي كان حاكما على المدية، والذي غامر بالسير إلى أقصى الجنوب أي إلى حدود جبال زكار والتقى هناك بأحمد بن سالم حاكم الأغواط ورحب باقتراحه في جعل المنطقة تحت سلطة خليفة. أنظر:

- Emile, Dermenghem, le pays des ouled Nail.

[18]- وأعني خليفة مجانة سي أحمد بن المقراني.

[19]- كان عقيدا بالمكاتب العربية لناحية بسكرة.

[20]- الميلود قويسم بن الهدار، موسوعة التحقيق الكامل، مناقب وقيم تراث ونسب أولاد سيدي نايل ج 04، طبعة تجريبية، الجزائر، 2006، ص 04.